(( وَيْلٌ لِلْعَرَب ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

وَيْلٌ لِلْعَرَب..

وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ..

تقول زَيْنَب بِنْتِ جَحْشٍ -رضي الله عنها-: دخل عليّ رَسُولَ اللَّهِ يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا»، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ» رواه البخاري .

«نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ» ،

إذا ظهر المنكر ، وانكشف المستور ، وعبدت القبور ، وفشت الفواحش ، وشربت المسكرات والخمور ، وأتى الناس السحرة والكهنة وانتهكت حدود الله

نهلك وفينا الصالحون نهلك وفينا من يقوم الليل ، ويصوم النهار ، ويتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ» .

إذا ضيعت الصلاة ، إذا عقّ الآباء والأمهات ، إذا استهزئ بالدين ، ورجال الدين ، إذا أبيحت لحوم العلماء ، وولاة الأمور ، إذا أكلت حقوق العباد ولم ينتصر للمظلوم من الظالم ، نهلك وفينا الصالحون .

من هنا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الإسلام ، وأهمّ قواعد الأديان بل هو الركن العظيم والأساس القويم ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا الركن الذي تصلح به الرعية ، ويقسم به بالسوية ويعدل في القضية .

يقول الغزالي "يرحمه الله" (الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْقُطْبُ الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد) إحياء علوم الدين (2/306) .

ويقول ابن تيمية -رحمه الله- : (الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ مِنْ الدِّينِ) مجموع الفتاوى لابن تيمية (28/121) .

ويقول الشيخ العلامة حمد بن عتيق في مجموع رسائله وفتاويه فلو قدر أن رجلا يصوم النهار ويقوم الليل ويزهد في الدنيا كلها وهو مع ذلك لا يغضب لله ولا يتمعر وجهه ولا يحمر فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله وأقلهم دينا وأصحاب الكبائر أحسن عند الله منه ) وقال ابن مفلح في الفروع نفلا عن ابن عقيل في الفنون : لَوْ سَكَتَ الْمُحِقُّونَ وَنَطَقَ الْمُبْطِلُونَ لَتَعَوَّدَ النَّشْءُ مَا شَاهَدُوا، وَأَنْكَرُوا مَا لَمْ يُشَاهِدُوا .

لقد أهلك الله أمما من قبلها ولعنها على لسان نبيين من أنبيائه لما أعرضوا عن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ المائدة: ٧٨ - ٧٩

لقد أصبح الواحد منا يرى المنكر نصب عينيه ، وبين يديه ، ويسمعه بأذنيه ، ويتعداه بقدميه بل ربما شاهده في أهله ، وبيته فلا يحرك ساكنا ولا يتمعر وجه ولا يغار من حرمات الله ، وأصبح الغيور منّا لا يملك إزاء هذه المنكرات إلاً أن يتمتم بالحوقلة مردّداً :

ذهبَ الذينَ يعاشُ في أكنافهمْ وبَقيتُ في خَلفٍ كجِلدِ الأجرَبِ

يتأكلونَ مغالةً وخيانةً ويُعَابُ قائِلُهُمْ وإنْ لم يَشْغَبِ

إنَّ الرزيةَ لا رزيةَ مثلُهَا فقدانُ كلِّ أخٍ كضوْء الكوكَبِ

نسي أن الله تعالى : ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭼ هود: ١١٦

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشعيرة التي أجمعت الأمة على وجوبها ، وأصبحت علامةً لأهل الإيمان وثلمةً لأهل النفاق ﭽﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ التوبة: ٦٧ وقال تعالى : ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ التوبة: ٧١

قال الإمام بن باز – رحمه الله - : فتأمل يا عبد الله كيف قدم المولى سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فمع أن الصلاة عمود الإسلام، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين، فلأي معنى قدم هذا الواجب؟

لا شك أنه قدم لعظم الحاجة إليه وشدة الضرورة إلى القيام به .

إذا قام الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر أقيمت الصلاة وأديت الزكاة ، إذا قام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زالت وقلت الفواحش والمنكرات ، إذا قام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سلمت التجارة من الغش ، والمعاملات من الكذب ، والبيوت من الخيانة ، والأسواق من التعدي على الأعراض ، وسادت الأخلاق والآداب ، واختفى منكر التبرج والسفور ، وعمّ الخير والفضيلة وقل الشر والرذيلة ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭼ آل عمران: ١١٠

شرف عظيم مقام عظيم قال عمر بن الخطاب (مَن سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ من هذه الْأُمَّةِ فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا) وشرطها تأمر بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله أن التخلي عن هذه الشعيرة العظيمة ، والتصدي لأهلها ومحاربتهم وقلة الحديث والتذكير بها نذير شؤم عظيم وخطر وخيم ، فقد يتحول المجتمع إلى جحيم من المعاصي لقد كان السلف يرون من لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر في عداد أموات الأحياء ، فهذا حذيفة : يُسْئَلُ مَا مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ؟ قَالَ: " لَا يُنْكِرُ الْمُنْكَرَ بِيَدِهِ، وَلَا بِلِسَانِهِ وَلَا بِقَلْبِهِ " شعب الإيمان (10/72) .

إن المنكرات إذا كثر على القلب ورودها ، وتكرر في العين شهودها ، ذهبت من القلوب وحشتها ، وأصبحت النفوس تعتادُها ، يقول بعض الصالحين : إن الخوف كل الخوف من تأنيس القلوب بالمنكرات، لأنها إذا توالت مشاهدتها أنست بها النفوس فقلّ أن تتأثر بها

ومن سنن الله التي لا تتغير ولا تتبدل أنّ المنكر إذا فشا وغاب الأمر بالمعروف ، وسكت الناس عن المنكر وترك الحبل على الغارب يعيش الناس كما يشاؤون ويتجاوزون حدود الله ، ويعبثون بالأخلاق ، ويكشفون العورات ، وينتهكون في الأعراض، ويأكلون حقوق العباد ، وكل شخص يقول أنا حرّ أفعل ما أشاء ؛ فإن وعد الله حق وإن العذاب يعم الجميع يعم الصالح والفاسد قال تعالى : ﭽ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ الأنفال: ٢٥

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم ..**

الثانية

يقول رسول الله :" مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا " رواه البخاري من حديث النعمان بن بشير .

صورة عجيبة ومثل بليغ جداً، يضربه النبي ، يكشف من خلاله أن المصلحة مشتركة، وأن سلامة المؤمنين كلٌ لا يتجزأ، فإذا أخطأ بعضهم انسحب هذا الخطأ على الباقين، فالمجتمع كلّه في سفينة ركبها البر والفاجر ، والصالح والطالح وهي تموج بهم في ظلمات البحر ، وتقاسم الناس أماكنهم في هذه السفينة فطائفة سكنت في أعلى السفينة، وطائفة سكنت في أسفل السفينة , فكان الذين في الطابق الأسفل إذا أرادوا أن يستقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ونأخذ منه الماء ولم نؤذ من فوقنا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فإن هم أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا , وإن هم تركوهم هلكوا وهلكوا جميعا) أي : إذا تركوهم يخرقون دخل الماء فغرق الذين في الأعلى وفي الأسفل, وإذا أخذوا على أيديهم ، ومنعوهم سلموا جميعاً, فكذلك من يفعل المنكرات, فإذا قام شاب مفتون في عقيدته بأفكار ضالةٍ مضلّة ، وقام آخر قد استحوذت عليه الشهوات فأحاطت به إحاطة السوار بالمعصم يردّد : ليس لأحدٍ عليّ بسلطان ، فيفعل ما يشاء ، فيتركه الناس خوفاً وطمعا ، وإذا قامت فتاة مستهترة تتميّع في مشيتها ، وتتكسّر في حديثها ، وتكشف ما يحلوا لها من جسدها ، وتغمز شابّاً فتحرّك فيه فتنة الجنس، وتردّد : ليس لأحدٍ علي بسلطان ، وإذا قام كاتب ينشر فكره المسموم ويزين الفاحشة ، ويردّد : أنا حرّ فيما أكتب وليس لأحد علي بسلطان ، ويتركه الناس يعبث في الأرض فساداً ، وإذا رأيت والداً ضعيف الشخصية يحكمه الترف والاسترخاء فترك أولاده بلا نصح ولا رقابة شعاره : أولادي وأنا حرّ وليس لأحد علي بسلطان ، ويتركه الناس دون إعذار ولا إنذار ، إذا رأيت الابن يقول لأبيه : أنت رجعيّ ، أنت متأخر ، لست طفلا بين يديك ، أنا رجلٌ مثلك ، أنا حرٌّ فيما أصنع ليس لك عليّ سلطان ، حين تصل الأمور إلى هذا الحد من الاستهانة بحدود الله دون أمرٍ بمعروف ونهي عن منكر ، حين تصبح الرشوة هي الأصل ، والنظافة هي الشذوذ ، والكذب هو الدبلوماسية والصدق هو الغثائية عندها تقع الهزة الذي تزلزل المجتمع ، وتغرق السفينة ، يغرق من في أعلاها ومن في أسفلها ، يغرق من أخرقها ، ومن شهد خرقها

يقول «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» رواه الترمذي وصححه الألباني .

عباد الله إن الحاجة ماسة إلى إحياء هذه الشعيرة في بيوتنا ومجالسنا ، وأحيائنا ، ومجتمعاتنا يقول « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» رواه مسلم .

ولابد من التعاون مع رجال الهيئة في هذه البلاد المباركة التي قامت على دعوة الحق والتوحيد ، وأنشأت جهازاً خاصّاً لإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متمثلين قوله تعالى ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﭼ آل عمران: ١٠٤

اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .